كاتب وإعلامي فلسطيني للوفاق:

سرقة مستمرة لأرض فلسطين؛ والمقاومة بالمرصاد

الوفاق/ خاص
عبير شمص

لم يدع العدو الصهيوني وسيلة ليُسيطر فيها على أراضي فلسطين التاريخية إما مباشرةً بقوة السلاح أو بطريقة غير مباشرة عبر القوانين المختلفة أو تعاون بعض الجمعيات والمستثمرين لشراء الممتلكات الفلسطينية، وقد استمر عمله منذ تأسيس كيانه المؤقت إلى وقتنا الحاضر، وما نراه من محاولات مصادرة أملاك المقدسيين ومن بناء المستوطنات على الأراضي الفلسطينية إلاّ دليلاً واضحاً ومستمراً على سياساته الاستيطانية. تاريخياً بدأ العدو بسعيه للاستيلاء على الأرض الفلسطينية عبر الترويج للدعاية التي ارتكزت منذ القرن التاسع عشر على فكرة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، مُسوقاً للعالم أنه لا يوجد شعب في فلسطين، وأن من حق اليهود الذي لا يملكون أرضاً أن تكون هذه الأرض لهم. واستمر بتزوير التاريخ عبر نشره أخباراً كاذبة ومضللة على أن الفلسطينيين هم الذين باعوا أرضهم لليهود، وأن اليهود إنما اشتروها بأموالهم، فلا ينبغي للفلسطينيين أن يطالبوا بعد ذلك بها.

ومن ثم استمرت محاولات الصهاينة حتى قبل تأسيس الكيان المؤقت، للاستيلاء على الأراضي الفلسطينية بطرق مختلفة، وبدأت معها مقاومة الفلسطينيين للمشروع الاستيطاني ومنذ المراحل الأولى المبكرة له، في أيام الدولة العثمانية. واستمرت خلال الانتداب البريطاني على فلسطين والذي كان يهدف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. كما شرع العدو الصهيوني القوانين لسرقة الأرض الفلسطينية، وطورها عبر السنوات الأخيرة لتتناسب مع العصر دون أن تترك أية ثغرة يمكن للفلسطيني استغلالها لاسترجاع حقوقه، وكان أخطرها قانون أملاك الغائبين. وفي إطار الحديث عن الاستيلاء الصهيوني المستمر على الأراضي الفلسطينية بشتى الطرق وحتى قبل تأسيس الكيان المؤقت بدعم غربي بريطاني ومن ثم أميركي، ومقاومة الفلسطينيين لهذه الحركة الاستيطانية، التقت صحيفة الوفاق مع الكاتب والإعلامي الفلسطيني الأستاذ حمزة البشتاوي، وفيما يلي نص الحوار:

البداية مع العصابات الصهيونية

يقول الأستاذ البشتاوي حول بداية الحركة التاريخية للاستيلاء على الأراضي الفلسطينية أنه: "منذ بداية المشروع الصهيوني على أرض فلسطين شكل الصهاينة مجموعة من العصابات المسلحة لارتكاب المجازر في القرى والمدن من أجل إرهاب المواطنين وتهجيرهم قسراً والاستيلاء على الأراضي الزراعية والمنازل وهذا كان يتم منذ ما قبل النكبة أي مع بداية المشروع الصهيوني وعبر الهجرة المنظمة المدعومة من بريطانيا، كانت هناك عملية استجلاب لليهود من كافة أنحاء العالم للسيطرة والاستيطان في الأراضي الفلسطينية".

ويتابع حديثه بالقول بأنه:"كانت تتم عمليات شراء أراضي عبر اقطاعيين غير فلسطينيين أتوا من لبنان أو من دمشق وبرز اسم عائلة "سرسق" اللبنانية وهي كانت من كبار أصحاب الأملاك في فلسطين خاصة في منطقة مرج ابن عامر باعوا أراضيهم بسبب الاغراءات المالية واستوطن الصهاينة في هذه المنطقة، فكان الاستيطان أيديولوجية وهو جوهر المشروع الصهيوني".

من لا يملك لمن لا يستحق

يشرح الكاتب والإعلامي الفلسطيني الأستاذ البشتاوي دور الانتداب البريطاني في مساعدة اليهود بسرقة أراضي فلسطين :"عندما بدأت العمليات الاستيطانية وسرقة الأراضي الفلسطينية كان يسكن اليهود المهاجرين إلى فلسطين بما يسمى الكيبوتسات أي المستوطنات الزراعية بدعم بريطاني وخاصة أثناء الانتداب البريطاني، وقد استثمرت كل صلاحيات الحكم الاستعماري لفرض هذا الواقع. وقد قاومت الحركة الوطنية الفلسطينية الاستيطان اليهودي بكل ما تملك من وسائل سياسية وإعلامية واحتجاجية، وخاضت الكثير من الثورات والمواجهات. والجدير ذكره أنه قد بلغ مجموع ما تمكن اليهود من الاستيلاء عليه في فترة الاحتلال البريطاني حوالي مليون و ٣٨٠ ألف دونم أي حوالي ٥,١٪ فقط من أرض فلسطين، وذلك عبر تسرب هذه الأراضي لليهود عن طريق منح الحكومية البريطانية لأراضي فلسطين الأميرية "أراضي الدولة"، أو عن طريق ملاك إقطاعيين كبار غير فلسطينيين كانوا يقيمون في الخارج، ومنعوا عملياً ورسمياً من الدخول إلى هذه المنطقة (تحت الانتداب البريطاني) لاستثمار أرضهم إن كانوا يرغبون بذلك فعلاً".

قانون أملاك الغائبين

يوضح الأستاذ البشتاوي بأنه:" بعد النكبة والتهجير القسري في العام ٤٨ صدر ما يسمى بقانون أملاك الغائبين للسيطرة على المزيد من الأراضي والممتلكات وهذا القانون صدر في العام ١٩٥٠ ثم صدر قانون ما يسمى حارس أملاك العامة في العام ١٩٦٧م، بواسطة هذا القانون، وضع العدو الصهيوني يده على كل الممتلكات التي تركها اللاجئون الفلسطينيون خلفهم في ١٩٤٨. وبعد العام ١٩٦٧، في عملية كانت مثار خلاف، تم تطبيق القانون أيضاً شرق مدينة القدس المحتلة الذي تم ضمها للكيان الصهيوني. فكان كل من له عقار في شرق القدس ويعيش في الضفة الغربية أو في دولة عربية، فإن ممتلكاته تنقل تلقائياً إلى حارس أملاك الغائبين، وتؤكد الدراسات أن "الأملاك المتروكة"، كانت إحدى أهم المساهمات في سبيل جعل الكيان الصهيوني مكاناً قابلاً للحياة. إذ أظهرت نتائج دراسة تحضيرية لمؤتمر جنيف الدولي بشأن النزاع العربي الصهيوني عام ١٩٥٠، أن ٨٠٪ من الأراضي التي أقام عليها الكيان الصهيوني تعود للاجئين، وتقدر مساحتها بنحو ٢٠ ألفا و ٨٥٠ كيلومتر مربع. وفي عام ١٩٥٤ عاش ثلث سكان هذا الكيان على أملاك الغائبين، وحوالي ثلث المهاجرين الجدد (٢٥٠ ألفاً) سكنوا في أحياء عربية هجر منها سكانها، وفق موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية".

مدينة القدس المحتلة

وفي سياق عمليات التهويد والاستيطان في مدينة القدس المحتلة يشرح الكتاب والإعلامي الفلسطيني الأستاذ البشتاوي بأنه: "يستهدف العدو الصهيوني مدينة القدس المحتلة والمقدسات التي تضمها بعمليات التهويد ومصادرة الممتلكات والأراضي والتي لا تتوقف منذ احتلالها إلى يومنا هذا ونرى كيف يواجه الفلسطينيون بمزيد من التمسك بالأرض والمزيد من المواجهة مع الاحتلال وهناك أدلة كثيرة من خلال عمليات الصمود والهبات التي تحصل في مناطق مختلفة من المدينة مثل منطقة باب العامود في مواجهة الحواجز الاستيطانية وما جرى في منطقة الشيخ جراح ومحاولة منع الصهاينة من طرد السكان من منازلهم والاستيلاء عليها".

بالثورات والانتفاضات واجه الفلسطينيون عمليات الاستيطان

قاوم الفلسطينيون كل عمليات الاستيطان والتهويد وكان الشعب الفلسطيني والمجتمع الفلسطيني عموماً ينتقل من هبّة إلى ثورة إلى انتفاضة في مواجهة عمليات الاستيطان والتهويد منها ثورة البراق والكثير من الهبات والانتفاضات منذ العام ١٩١٩م، وفق الأستاذ البشتاوي. ويضيف:"شكل المجتمع الفلسطيني لجان مقاومة شعبية لمواجهة الاستيطان والتهويد ومصادرة الأراضي. وهذه العمليات كانت بداية تتم عبر التعاون الصهيوني البريطاني المشترك ثم من خلال الحركة الصهيونية التي أصبحت مدعومة في ذلك الوقت من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ويؤشر إلى أول عملية استيطان كبرى على الأراضي الفلسطينية مع وعد بلفور عام ١٩١٧م حيث توسعت عمليات الاستيطان لتصبح جزءاً رئيسياً من ايديوبوجيا الحركة الصهيونية. وفي العام ١٩٤٨م بغرض السيطرة على الأراضي وتفكيك بنية المجتمع الفلسطيني تم السيطرة على الكثير من المدن والمساحات بما يسمى الأراضي المشاع في شمال فلسطين وعلى طول الساحل الفلسطيني. وهنا كانت الغاية والغرض السيطرة على الأراضي وهذا يرتبط بايديولوجية الاستيطان لأن هذا الكيان قائم على فكرة التوسع والاستيطان والذي يستهدف عبره تفكيك بنية المجتمع الفلسطيني. وخلال هذه العمليات الاستيطانية كانت الحركة الصهيونية بغطاء من بعض الأنظمة العربية تقوم بترويج أكذوبة أن الفلسطينيين قد باعوا أرضهم وهذه الأكاذيب ارتبطت بعدة مقولات صهيونية في سياق الدعاية الصهيونية التي تروج لمشروع السيطرة على فلسطين بالاستناد إلى عدة مقولات منها أن فلسطين هي أرض بلا شعب لشعب بلا أرض".

ويختم الأستاذ البشتاوي حديثه بالقول أن هناك قراراً فلسطينياً شعبياً يدعو إلى الاستمرار بالمواجهة وتقديم التضحيات من أجل التأكيد على هوية الأرض بأنها أرض فلسطينية وبأن هذا الاحتلال والكيان مؤقتان ولا بد من خلال الصمود والمقاومة أن يزولان عبر التمسك بهذه الأرض".

هناك قراراً فلسطينياً شعبياً يدعو الى الاستمرار بالمواجهة وتقديم التضحيات من أجل التأكيد على هوية الأرض بأنها أرض فلسطينية وبأن هذا الاحتلال والكيان مؤقتان ولابد من خلال الصمود والمقاومة أن يزولان عبر التمسك بهذه الأرض

العلامة الأميني.. موسوعة تاريخية إسلامية وحدوية

لدى أتباع أهل البيت(ع)علماء عظام، أفنوا حياتهم في الدفاع عنهم، والتعريف بهم عبر مؤلفاتهم، وهؤلاء ظهروا عبر فترات التاريخ المختلفة، وفي القرن الميلاديّ المنصرم ظهرت شخصية قلّ نظيرها في البحث والتتبّع والسفر؛ لأجل توثيق نصّ، أو العثور على كتابٍ له علاقة بتراث الطائفة وعقائدها، وهو العلامة عبد الحسين بن أحمد الأمينيّ التبريزيّ النجفيّ صاحب الموسوعة المعروفة بـ (الغدير في الكتاب والسنة والأدب)، وله مؤلفات أخرى. ومن آثاره انشاؤه مكتبة في مدينة النجف الأشرف سماها مكتبة أمير المؤمنين(ع) وجعلها مكتبة عامة. وتوفي العلامة الأميني سنة ١٩٧١م في طهران، ونقل جثمانه إلى مدينة النجف الأشرف ودفن في غرفة بالقرب من مكتبته التي أسّسها.

الرحلات البحثية للعلامة

من السمات المميزة للعلامة الأميني رحلاته العديدة إلى المدن والبلدان الإسلامية، منها الهند وسوريا وتركيا والتي كانت تتم لتحقيق الأهداف العلمية والثقافية للبحث في المكتبات وتدوين ونسخ كتب الشيعة والسنة (خاصة المخطوطات القديمة) للغدير ومؤلفاته الأخرى، واللقاء مع أساتذة الجامعة، وتقديم النصح والتوجيه للناس، وتثقيف أهل العلم والتأثير فيهم. وأحيانًا إلقاء خطاب أمام جماهير الناس والأكاديميين، وإثارة النقاش وخلق أرضية فكرية في القضايا المتعلقة بفلسفة الحكم في الإسلام، وإيصال رسالة "الغدير"، وقد سجل الشيء الكثير عن أسفاره ومشاهداته في مجلدين ضخمين سماهما "ثمرات الأسفار".

موسوعة الغدير

عندما تسمع بالعلامة الأميني، يستحضر الذهن مباشرة موسوعته المشهورة التي ذاع صيتها في الآفاق، وهي بعنوان "الغدير في الكتاب والسنّة والأدب"، وقد انشغل لأكثر من نصف قرن في تأليفها، محتماً على نفسه الكتابة والمطالعة ستّ عشرة ساعة في اللّيل والنهار، إذ تطلب تأليفها المرور بآلاف من الكتب المطبوعة والمخطوطة، ومطالعتها والتمحيص والتدقيق فيها، وكذلك السفر للحصول على المصادر والوثائق، لذا سافر إلى بلدانٍ كثيرة، منها بلاد الشام وإيران والهند والحجاز وتركيا، وبذل جلّ جهوده في سبيلها، لذلك ترك البحث والتدريس، وجلس في داره معتكفاً بمكتبته الخاصّة، متفرّغاً للعمل.

الأنشطة الثقافية

بالإضافة إلى البحث والخطاب، كان للعلامة الأميني أيضًا العديد من الأنشطة الثقافية الأخرى، ويكفي أن نذكر القليل منها:

الوحدة الإسلامية

وكان من أهم أهداف العلامة جمع الشعوب الإسلامية في صف واحد، موحدين ومنظمين. ويذكر هذه المسألة في الجزء الأول من المجلد الثامن من موسوعة الغدير. أن سر نجاح المسلمين وشرفهم يكمن في تجنب الفرقة وأساس سعادتهم يتلخص في التعلق بالله (سبحانه وتعالى).

تأسيس مكتبة أمير المؤمنين (ع)

من الأعمال العظيمة التي قام بها العلامة الأميني هي تأسيسه مكتبة الإمام أمير المؤمنين (ع) العامة في مدينة النجف الأشرف وقد بذل كل جهده حتى أظهر هذه المكتبة من العدم إلى الوجود وجعلها صرحاً ثقافياً عالمياً شامخاً. وفي السنوات العشر الأخيرة من عمره جاب العالم الإسلامي باحثاً في أروقة المكتبات العامة والمراكز الثقافية، وفي بطون الموسوعات والصحاح والمسانيد والسير الموسعة مفتشاً عن تراثنا من المصادر والروايات الموثقة والصحيحة.

تشكيل بيت الكُتاب

تجربة العلامة دفعته إلى إنشاء مركز يسمى "بيت الكُتاب" للنهوض بالبحث العلمي. ونتيجة لذلك، قرر بناء مكان جميل وصحي وحديث بجوار مكتبة أمير المؤمنين(ع) في مدينة النجف الأشرف والذي أسسه بنفسه، وجهزه بكل المرافق والوسائل الضرورية للباحثين، فالمركز يحتوي على عدة غرف، كل منها تحت تصرف الباحثين والكتاب ويُلبي كافة الاحتياجات الشخصية للباحث. كما ضمّ الكتب الأساسية والمراجع الضرورية لمجال عمل الباحث بل وعمل على توفير الكتب الضرورية للباحثين من مؤسسات ومكتبات أخرى.

الأنشطة السياسية

السياسة هي الجانب "المخفي والمجهول" من حياة العلامة الأميني، فهو معروف بشكل أساسي (وأحيانًا فقط) بجانبه "العلمي والبحثي"، وقليل من الناس يعرفونه بمواقفه "السياسية والمناهضة للاستبداد وللاستعمار".

والعلامة الأميني يعتبر الامام الخميني(قدس) مرجعاً كبيراً من المراجع الإسلامية وفي تقرير عملاء السافاك، أنه كانت هناك برقيات كثيرة من العلامة الأميني تدعم الإمام (قدس) أثناء نفيه إلى العراق.

وفي هذا الصدد يمكن أن نذكر دور العلامة الأميني في تشجيع الشهيد السيد نواب صفوي على مواجهة أحمد كسروي، الذي كان يهاجم الإسلام ويسيء الى النبي محمد (ص) ويروج لأكاذيب عن الاسلام في كتاباته، وهو ما ذكره التاريخ.